

# دور التراث الشعبي

## في حفظ الهوية القومية وتنمية الشعور بالإنتماء،

### إلى الأمة

يُعد علم التراث الشعبي أو الفولكلور في عصرنا من العلوم الخطيرة، ذات الجذور الضاربة في أعماق ارضية الحياة الاجتماعية البشرية عبر العصور. ومفردات المأثورات الشعبية أو التراث الشعبي تشتمل كل مظاهر البيئة الشعبية بأوسع معانيها وموجوداتها الحياتية المادية والشفاهية المنطوقة والروحية والطقوسية المراسيمية الممارسة بحسب تقاليد خاصة دينية أو شعبية أو مزيج من كليهما. المتوارثات الشعبية لأي شعب أو أمة هي جملة اعمال سلوكية ومشاعر واحاسيس وتعليم وحكم شعبية وممارسات وتقاليد واعراف وشعائر مارسها الآباء والأجداد وخلفها للأبناء والأحفاد.

إن الحس الحميم والقوي وبخاصة لدى الفرد الكلداشوري البسيط، يختلف عن حس أي فرد ينتمي الى شعب آخر عاش الاستقرار في موطنه ولم ينكب بحرمانه من ارضه، ولم يعاني ما عاناه الكلدوآشوري من ضروب الاضطهادات والتشريد والابادة الجماعية، لقد عملت كل تلك الممارسات اللانسانية التي مورست بحقه على ان تزرع في دخيلة نفسه شعوراً مريراً بالغربة وهو قائم فوق ارضه كما لو كان دخيلاً على بني وطنه رغم اصالة مواطنته ورغم رسوخ جذوره التاريخية في عمق تربته.

كما ذكرنا ان التراث هو كل ما يُمارس من طقوس ومراسيم وشعائر وعادات وتقاليد واعراف لكل مرحلة من مراحل دورة الحياة، وهو كل ما فيها من ترانيم وهازيج ومراثي... الخ، وهو كل الحرف وما يدخل فيها من عدد وادوات وبمختصر العبارة فهو الحياة بطولها وعرضها.

ولن نغالي او نبالغ ان قلنا اننا من اغنى الشعوب بكل هذه الموروثات الشعبية مادية عينية كانت ام شفاهية، وذلك لعراقة امتنا وتاريخنا الثر المشرق.

التراث الشعبي بخصائصه الموروثة والممارسة شكّل ويشكّل هوية لأي شعب او تجمع انساني يجمل خصائص ومميزات معينة .. انه الجذور الضاربة في الاعماق الحضارية للإنسان .. هو العلمية او الأسم - ودونه كل التسميات - به تتسمى وتتميز كل الموجودات في هذه الحياة، والشعب، اي شعب بلا تراث كفاقد هويته، وككائن بلا إسم، وكالنبته المقطوعة من الجذور والمرمية على شواطئ الشعوب الأخرى تذبل و وتذوب فيها عاجلاً ام آجلاً.

ان بعث التراث الحضاري الأصيل لشعبنا وامتنا ونشره واحياء وتنمية روح الزهو والفخر والاعتزاز به لدى كل فرد فيه، سيولد ثقة متناهية بالنفس لديه وسيشعره بالأرضية الصلبة التي يقف عليها. ويقوي الاواصر والروابط التي تشده الى كل فرد من ابناء جلدته ومن ثم يُمكنه من التزود بالطاقة اللازمة من ماضيه وتراثه وبخاصة الجوانب المضيئة والانسانية من هذا التراث لينطلق ويواصل مسيرته في ركب الحضارة الانسانية. ان رقصة شعبية، او اغنية تراثية، او زي تقليدي شعبي اصيل، او تخاطب بين اثنين او اكثر بلغة قومية متوارثة او اية مفردة تراثية أخرى، قد تكون اشد وقعاً واكثر تأثيراً، واعمق اثاراً في النفس من ابلغ خطبة واعمق دراسة تتناول مقومات وعناصر اية قومية وتفلسف مفاهيمها.

ان ما يثبت هويتنا ويحافظ على بقاء كياننا كأمة واحدة، مرهون بدوام كل تلك المفردات الاصلية المتوارثة من الآباء وبقائها حية ممارسة، فامتنا حية طالما بقي ارتنا اللغوي حياً على الشفاه سيالاً من الاقلام، وظلت عقائدنا ممارسة بتقاليدنا وخصوصياتنا المشرقية الاصلية، وطالما حفظت كل مفردات تراثها، من اجل تصنيفها وتوثيقها ودراستها.

وبدراسة التراث الشعبي الاصيل المستقى من منابع الشعب ومناهله البكر التي لم تطلها يد الحضارة، نكرس روح الانفتاح والتفائل والاستشراق على المستقبل في نفوس اجيال ترفض ببااء وانفة الخنوع والضياع والذوبان والاندثار، اجيال ترفض بشدة فعل كل عوامل المكان والزمان التي تطوي وتدفن شخصيتها وهويتها وكل سمات وخصائص كيانها.

مفردات التراث الشعبي الاصلية المتوارثة والتي محكتها بودقة الاجيال السابقة، واختبرتها واصطفتها ثم اسلمتها او اورثتها للابناء والاحفاد، تكرر وتغرس روح الجرأة والمجاهة والمغامرة، وروح التحدي في اطار العمل الجماعي، وتثبت الثقة في مواجهة المستقبل، وترفض الروح الاتكالية وتشجب بشدة فكرة التابع و المتنوع بمختلف اشكاله واساليبه.

اضف الى كل ذلك امراً مهماً وخطيراً وهو اننا ان نهلنا من مورثنا الشعبي ومن منابعه البكر الاصلية ونشرنا او وظفنا مفرداته على ضوء المثل الانسانية الايجابية التي يزخر بها تراثنا، فاننا بذلك سنعزز الاحساس الصادق به، ونقوي الارتباط العضوي والعرفي بتربة الارض الام وبالوطن في نفوس الاجيال الجديدة التي ولدت ونشأت في ارض الغربية، في بلدان المهجر، فيذكرهم بتربة آبائهم وبالارض التي لم يروها، فيحسّسهم بها ويشدهم اليها، ويعمل على اثاره والهيب مخيلاتهم في رسم صور مما توحيه اليهم قيم ومفاهيم مفردات ورثها آباؤهم لهم، فينمو في دواخلهم حب نقي وحنين اليها. عندئذ تظهر على شخصياتهم سمات هويتهم القومية فيظلون مرتبطين مع الزمن بروابط قومية مع من يعيش على الارض

الام ارض الاجداد، من اهاليهم وعشيرتهم، كما يُذكّرهم ويشدّهم الى ماضيهم المشرق، ويتطلعون ويسترشدون في حاضرهم الى شق الطريق لمستقبلهم على هدى الرموز الانسانية المضيئة والايجابية في تراثهم، ويخلق عندهم شعوراً عميقاً بوجود جامع مشترك يربطهم ببني جنسهم ويكسبهم مناعة كبيرة ضد الاندثار والذوبان في بحار الامم الاخرى، فيحسون بكونهم واحداً غير قابل للتجزئة، وليس أجزاء يعملون من اجل توحيدها.

التحرير

